

تفسير ابن كثير

* وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنْهَا فَضْلًا يَا جِبَالَ أُورِيٍّ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالذَّلَّالَةَ الْحَدِيدَ

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود ، صلوات الله وسلامه عليه ، مما آتاه من

الفضل المبين ، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن ، والجنود ذوي العدد والعدد ، وما

أعطاه ومنحه من الصوت العظيم ، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات ،

الصم الشامخات ، وتقف له الطيور السارحات ، والغايات والرائحات ، وتجاوبه بأنواع

اللغات . وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبي موسى الأشعري

يقرأ من الليل ، فوقف فاستمع لقراءته ، ثم قال " لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود

" . وقال أبو عثمان النهدي : ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا وتر أحسن من صوت

أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه . ومعنى قوله : (أوي) أي : سبحي . قاله ابن عباس

، ومجاهد ، وغير واحد . وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سبحي بلسان الحبشة . وفي هذا نظر ،

فإن التأويب في اللغة هو الترجيع ، فأمرت الجبال والطيور أن ترجع معه بأصواتها . وقال أبو

القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه " الجمل " في باب النداء منه : (يا

جبال أوبي معه) أي : سيرى معه بالنهار كله ، والتأويب : سير النهار كله ، والإسآد :
سير الليل كله . وهذا لفظه ، وهو غريب جدا لم أجده لغيره ، وإن كان له مساعدة من
حيث اللفظ في اللغة ، لكنه بعيد في معنى الآية هاهنا . والصواب أن المعنى في قوله تعالى
: (أوبي معه) أي : رجعي معه مسبحة معه ، كما تقدم ، والله أعلم . وقوله : (وألنا له
الحديد) : قال الحسن البصري ، وقتادة ، والأعمش وغيرهم : كان لا يحتاج أن يدخله
نارا ولا يضربه بمطرقة ، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط ; ولهذا قال :